صفات أهل الفردوس

إعداد
أبي عبد الرحمن طارق أحمد الحمادي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

الجنة درجات عالية

فإنَّ الجنة هي سِلْعة الله الغالية، وداره الباقية، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ»[1].

والجنة درجات عالية، ومنازل سامية، كما قال تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾[2]، أي: «لهم منازل مرتفعة، وفوقها منازل أرفع منها»[3].

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ، لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ. قَالَ: «بَلَىٰ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ»[4].

أعلى درجات الجنة

وقد جَعَل الله تعالىٰ الفردوس أعلىٰ درجات الجنة، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَىٰ الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»[5].

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٠) وقال: «حديث حسن غريب»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٧٧).

(٢) الزمر: ٢٠.

(٣) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح لابن القيم (١/ ٢٩٢).

(٤) رواه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١) واللفظ له.

(٥) رواه البخاري (٧٤٢٣).

فيا ترىٰ ما صفات أهل هذه الدار؟ وكيف وصلوا إلىٰ هذه المنزلة العظيمة، والدرجة الرفيعة؟

صفات أهل الفردوس

يقول الله تعالىٰ مبيِّنـاً صفات أهل الفردوس في افتتاح سورة «المؤمنون»: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾[٦].

فقوله تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ أي: «قد فازوا وسُعِدوا وحصلوا علىٰ الفلاح، وهم المؤمنون المتَّصفون بهذه الأوصاف»[٧].

أُولى صفاتهم

الخشوع في الصلاة، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾: «والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالىٰ، مستحضراً لقُرْبه؛ فيَسْكن لذلك قلبُه، وتطمئن نفسُه، وتَسْكن حركاتُه، ويَقِل التفاتُه، متأدِّبـاً بين يدي ربِّه، مستحضراً جميع ما يقوله ويفعله في صلاته؛ وهذا روح الصلاة والمقصود منها، وهو الذي يُكْتب للعبد»[٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخشوع في الصلاة إنَّما

(٦) المؤمنون: ١-١١.

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٤٨).

(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٦٤٠) باختصار.

يَحْصل لمَن فرَّغ قلبَه لها، واشتغل بها عمَّا عداها، وآثرها علىٰ غيرها؛ وحينئذٍ تكون راحةً له وقرَّة عين، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[٩]»[١٠].

ثاني صفاتهم

الإعراض عن الباطل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ أي: «عن الباطل تاركون، وهو يشمل: الشِّرْك، والمعاصي، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾[١١]»[١٢].

ثالث صفاتهم

أداء الزكاة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ أي: «مُؤدُّون لزكاة أموالهم علىٰ اختلاف أجناس الأموال، مُزكِّين لأنفسهم من أدناس الأخلاق ومساوئ الأعمال التي تزكو النَّفْس بتَرْكها وتجنُّبها؛ فأحسَنوا في عبادة الخالق بالخشوع في الصلاة، وأحسَنوا إلىٰ خَلْقه بأداء الزكاة»[١٣].

رابع صفاتهم

حِفْظ الفَرْج من الحرام، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ أي: الذين قد حَفِظوا فروجَهم من الحرام، فلا يَقَعون فيما نهاهم الله عنه من زنـًا أو لواط، ومن تمام حِفْظها: تجنُّب ما يدعو إلىٰ

---

(٩) رواه النسائي (٣٩٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٣١٢٤).

(١٠) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٤٨) باختصار.

(١١) الفرقان: ٧٢.

(١٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٤٩) باختصار وتصرف يسير.

(١٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٦٤٠) بتصرف يسير.

ذلك؛ كالنَّظر واللَّمْس ونحوهما، ولا يَقْربون سوىٰ ما أحلَّ الله لهم، ومَن تعاطىٰ ما أحلَّه الله له؛ فلا لَوْم عليه ولا حرج؛ ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي: غير ما أُحِلَّ له ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ أي: المُعْتدون[١٤].

خامس وسادس صفاتهم

أداء الأمانة، والوفاء بالعهد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ أي: «إذا اؤْتُمِنوا لم يخونوا، بل يُؤدُّونها إلىٰ أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أَوْفوا بذلك، لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[١٥]»[١٦].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا عامٌّ في جميع الأمانات التي هي حقٌّ لله، والتي هي حقٌّ للعباد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾[١٧]؛ فجميع ما أَوْجبه الله علىٰ عبده أمانةٌ علىٰ العبد حِفْظها بالقيام التَّامِّ بها، وكذلك يَدْخل في ذلك أمانات الآدميِّين؛ كأمانات الأموال والأسرار ونحوهما، فعلىٰ العبد مراعاة الأمرَيْن، وأداء الأمانتَيْن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[١٨].

وكذلك العهد، يشمل العهد الذي بينهم وبين ربِّهم، والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات والعقود التي يَعْقدها

(١٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٤٩)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٦٤٠).
(١٥) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).
(١٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٥٠).
(١٧) الأحزاب: ٧٢.
(١٨) النساء: ٥٨.

العبد، فعليه مراعاتها والوفاء بها، ويَحْرم عليه التفريط فيها وإهمالها»[١٩].

سابع صفاتهم

المحافظة علىٰ الصلاة، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ أي: «يداومون عليها في أوقاتها وحدودها وشروطها وأركانها؛ فمَدَحهم بالخشوع في الصلاة، وبالمحافظة عليها؛ لأنَّه لا يتم أَمْرهم إلَّا بالأمرَيْن، فمَن يداوم علىٰ الصلاة من غير خشوع، أو علىٰ الخشوع من دون محافظة عليها؛ فإنَّه مذمومٌ ناقصٌ»[٢٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «افتَتَح الله ذِكْر هذه الصفات الحميدة بالصلاة، واختَتَمها بالصلاة؛ فدلَّ علىٰ أفضليَّتها، كما قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ»[٢١]»[٢٢].

فهؤلاء الموصوفون بتلك الصفات ينالون -بإذن الله تعالىٰ ورحمته- أعلىٰ الجنة ووسطها وأفضلها؛ لأنَّهم حازوا من صفات الخير أعلاها وذروتها، لا يبغون عنها تحوُّلاً؛ لاشتمالها علىٰ أكمل النعيم وأحسنه وأتمِّه، من غير مُكدِّر ولا مُنغِّص؛ ولهذا قال الله تعالىٰ مبيِّنًا جزاءهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٢٣].

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

---

(١٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٦٤٠-٦٤١).

(٢٠) المرجع السابق (ص٦٤١) بتصرف يسير.

(٢١) رواه ابن ماجه (٢٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٧).

(٢٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٥٠-٤٥١) باختصار.

(٢٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٦٤١).